الغزو الأوروبي ووحدة المصير – الأناضول وبلاد الشام ومصر (في النصف الثاني من الألف الثاني ق.م)

أ. د. جهاد عبود*

الملخص:

تعرضت المنطقة لتطورات سياسية خطيرة في القرون الأخيرة من الألف الثاني قبل الميلاد، وجعلت تلك القوى الغازية من المنطقة كلّها في تلك المرحلة هدفًا واحدًا، رغم تعدد الممالك والامبراطوريات فيها.

ولهذا كان لابدَّ بداية من دراسة التطورات السياسية في منطقة بحر إيجة واليونان، ثم الانتقال إلى التطورات السياسية الحاصلة على مستوى منطقة الأناضول والشمال السوري في بدايات القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وأيضًا دراسة ما كان من تطورات سياسية بعد ذلك على أرض بلاد الشام، بين المصريين والحثيين آسياد المنطقة كلّها.

وفي بحثنا هذا كان الاعتماد اعتمادًا أساسيًا على النصوص بوصفها مصادر للمعلومات الخاصة بتلك المرحلة، وبشكل خاص على النصوص المكتشفة في مملكة أوجاريت، ونصوص تل العمارنة، وأيضًا النصوص المصرية، ومن ثمَّ دُرِسَت من خلالها النقاط الأساسية في بحثنا، التي كانت الركائز في الوصول إلى الكشف عمّا تعرضت له المنطقة، خلال قرنين من الزمن على الأقل، ولم يكن الغزو في مدة وجيزة ومفاجئًا لها، كما صوّر الباحثون ذلك.

* جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ.

The European Invasion and the Unity of Destiny- Anatolia, The Levant and Egypt (In the Second half of the Second Millennium BC)

Dr. Jehad Aboud[**]

Abstract

The region was subjected to serious political developments in the last centuries of the second millennium BC, and was made a single goal for these invading forces despite the multiplicity of kingdoms and empires there.

Therefore, it is necessary to study the political developments in the Aegean Sea region and in Greece, and then to examine the political developments in the Anatolia and North Syrian regions in the early 14th century BC, as well as the political developments on the land of the Levant, especially between the Egyptians and the Hittites who were the masters of the entire region.

In this research, reliance was mainly of the texts as sources of information for that period, particularly on the texts discovered in the Kingdom of Ugarit, the texts of the Amarna hill, and also the Egyptian texts, in order to study all the key points and even. The paper focuses on what happened to the region, during at least two centuries, and on the invasion that was not sudden and not for a short period of time as researchers have concluded it.

[**] Damascus University, College of Arts and Humanities, Department of History.

– المقدمة:

إنّ الأحداث السياسية التي تعرضت لها المنطقة في القرون الأخيرة من الألف الثاني قبل الميلاد (من البحر الأسود وبحر إيجة حتى مصر)، جعلت من المنطقة كلّها هدفًا واحدًا رغم تعدد الممالك والإمبراطوريات، وليس كل مملكة أو كل إمبراطورية على حدة، ومن ثمَّ كان التركيز على العلاقات التي كانت قائمة بين الأناضول ومنطقة الشمال السوري (مع مملكة أوجاريت بشكل خاص، وذلك اعتمادًا على النصوص المُكتشفة فيها، لأنّها الأوضح لنا في رسم التطورات السياسية التي طرأت على المنطقة في تلك المرحلة)، والتوضيح كيف كان التعاون بين الأطراف كلّها، عندما تعرضت المنطقة للخطر الأكبر قبل نهاية الألف الثاني قبل الميلاد (نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد)، من جهة البحر الأسود ومن جهة الغرب، إذ رأينا المشاركة العسكرية دعمًا للحثيين في المعارك الدفاعية ضد هؤلاء الغزاة على منطقة الأناضول (الجبهة الرئيسة في الشمال)، فضلًا عن المساعدات الأخرى التي كانت تُقدم للحثيين.

والنقطة الثالثة التي وضِّحَت، والتي بدورها أكدَّت وحدة المصير،–وهذا هو الهدف الرئيس للموضوع– وهي أنّ الغزو كان أكبر من القوة العسكرية الحثية، والقوى الأخرى المشاركة معها، بحيث أدى ذلك الغزو إلى انهيار الإمبراطورية الحثية، وإلى انهيار عدد من الممالك في سوريا، ولم يقف هذا الغزو الواسع والشامل للمنطقة كلّها تقريبًا عند هذا الحد، بل وصل حتى أبواب مصر، ومن ثمَّ أمام هذا الواقع الجديد أصبحنا أمام مرحلة جديدة في المنطقة كلّها، فمن ناحية كانت نهاية العصر البرونزي والدخول فيما يُسمى بعصر الحديد، ومن ناحية أخرى كان غياب قوى وتراجع قوى أخرى وانكماشها، وهذا يعني أنّ المنطقة أصبحت تعيش نوعًا من الفراغ السياسي في تلك المرحلة.

– التمهيد:

ومن الضروري لتوضيح غير نقطة في موضوعنا، أنْ نعطي لمحة عن التطورات السياسية في المناطق التي تقع إلى الغرب من آسية الصغرى وشمالها، أو بالأحرى عالم بحر إيجة، والملامسة زمنيًا للمرحلة الخاصة نفسها في التطورات السياسية الحاصلة أيضًا في الأناضول وبلاد الشام ومصر، إذ أنّها كانت السبب في دفع القوى الموجودة فيها، كالحثيين والمصريين إلى تغيير مواقفهم السياسية من المواجهة إلى عقد اتفاقيات السلام والتعاون فيما بينهم؛ والزمن المهم في موضوعنا هو النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد، لأنّ أهم الأحداث والتغيرات السياسية التي حصلت في منطقتنا،

كانت [على ما يبدو] مرتبطة بتلك الأحداث والتطورات السياسية الموازية لها زمنيًا، وذلك في الجهة المقابلة جغرافيًا، وهي عالم بحر إيجة.[1]

– الموضوع:

– لمحة عن التطورات السياسية في منطقة بحر إيجة:

ومن المهم جدًا كي يكون لدينا ما يكفي من الوضوح في ما سُمّي بشعوب البحر وقبائلهم، أنْ نعطي لمحة عن تلك التطورات السياسية في منطقة بحر إيجة، ومن ثمَّ نستطيع من خلالها إلقاء الضوء على غير نقطة في موضوعنا [قدر الإمكان] بالشكل الأفضل، ونستطيع أيضًا أنْ نسمي المعنى الحقيقي لتحركات شعوب منطقة بحر إيجة، وهو – إذا صح التعبير – الغزو الأوروبي المبكر لمنطقتنا بدءًا من منطقة الأناضول وبلاد الشام وصولًا حتى مصر؛ وحسب الدراسات الموجودة، كان على رأس تلك التطورات السياسية التي شهدها عالم بحر إيجة، وذلك مع بدايات القرن الرابع عشر قبل الميلاد، هو انهيار جزيرة كريت (الحضارة الإيجية الكريتية– المينوية)[2] نحو 1400ق.م، وكان ذلك

---

[1]– بكر، محمد إبراهيم: قراءات في حضارة الإغريق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2002، ص: 7؛ "المنطقة الإيجية اشتملت في الزمن القديم: 1– القسم الجنوبي من شبه جزيرة البلقان، وهو ما يُعرف باسم بلاد الإغريق أو اليونان أو هلّاس. 2– مجموعة الجزر التي تبلغ المئات. 3– جزيرة كريت لأنَّها موقع أقدم حضارات المنطقة الإيجية. 4– الشريط الساحلي لآسية الصغرى الذي يطل على البحر الإيجي؛ "انظر أيضًا: الناصري، سيد أحمد علي، الإغريق تاريخهم وحضارتهم من حضارة كريت حتى قيام إمبراطورية الاسكندر الأكبر، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة، 1976، ص: 31"؛ وقد عرّف العلماء هذه الحضارة بالهلّادية أو حضارة بحر إيجة خاصة جزيرة ميلوس، وإلى هذه الحضارة تنتمي حضارات بلاد اليونان كلّها في عصر البرونز، التي تشمل حضارة كريت وحضارة موكيناي وحضارة شمال غرب آسية الصغرى أو حضارة طروادة على الجانب الآخر من بحر إيجة".

[2]– سارة، خليل: تاريخ الإغريق، منشورات جامعة دمشق، 2007/2006، ص: 148–149؛ "كانت كريت أقوى مراكز هذه الحضارة ومركزها الرئيس، وكانت حضارة مستقلة ذات طابع خاص ابتدعها أهل كريت الذين كانوا لا ينتمون إلى الأسرة الهندية– الأوروبية، وكانوا قد وفدوا إلى كريت –على ما يُرجح– من آسية الصغرى في العصر النيوليتي (العصر الحجري الحديث)، (3500– 2000 ق.م)، واستقروا في الشرق والشمال، كما وفد في أعقابهم –على ما يبدو– قوم آخرون من جهة أخرى، يُظن أنّها ليبيا واستوطنوا جنوب الجزيرة، وأطلق (إيفانس) على هذه الحضارة اسم (الحضارة المينوية) نسبة إلى ملكها الأسطوري (مينوس)؛ "الشيخ، حسين: دراسات في تاريخ الحضارات القديمة– اليونان، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1992، ص: 22– 25؛ "وبحلول نهاية القرن الخامس عشر قبل الميلاد يبدو أنّ كريت قد تعرضت لتخريب مدمر ربما كان بسبب حريق ضخم أو زلزال أو غزو خارجي، وهو أضعف الاحتمالات، وبهذا بدأت تتدهور تدريجيًا حتى بداية الغزو الدوري الذي أنهى دورها في العالم القديم؛ "الناصري، سيد أحمد علي: ص: 31؛ بكر، محمد إبراهيم: ص: 11– 13؛ "وأصبحت جزيرة كريت التي تمثل الحدود الجنوبية للبحر الإيجي مركزًا لأول إمبراطورية بحرية في المنطقة بين 2400– 1400 ق.م، وتعرضت كريت نحو عام 1400 ق.م لكارثة حين غزاها عنصر بشري جديد الذي اجتاح المنطقة الإيجية من الشمال، ووطئ الغزاة الآخيون جزيرة كريت وأحرقوا العاصمة كنوسوس حيث فرّ بعض الكريتيين في سفنهم إلى المنطقة التي عُرفت فيما بعد باسم فلسطين، وتسببوا في ظهور المدن الفلسطينية على الساحل الشرقي للبحر المتوسط، وهكذا تمّ القضاء على الإمبراطورية المينوية".

حسب بعض الآراء، إمَّا عن طريق ثورة وطنية، أو هزة أرضية، ولكن غالبية الآراء ترجّح أنّ إغريق ميكيناي[3] هم الذين دمروا القصور والمدن كقصر كنوسوس،[4] وبالمقارنة نلاحظ أنّه في الوقت ذاته كان بالمقابل في منطقة الأناضول بداية صعود القوة الحثية من جديد[5]. ومن خلال الواقع الحياتي للميكينيين كان من صفاتهم المعروفة الحرب والقتال، وكان يحتل البحر والأسطول الدور الأكبر في حياتهم السياسية والحربية، ومن ثمَّ لم يقف زحفهم عند جزيرة كريت، بل امتد نشاطهم إلى أبعد من ذلك، سواءً كان هذا النشاط سلمًا أم حربًا، فكان لجزيرة قبرص نصيب في وصول هؤلاء إليها، وتأسيسهم مستعمرات مستقلة فيها، وكما يذكر د. خليل سارة في كتابه تاريخ الإغريق: ".. وأيضًا امتد نشاطهم التجاري إلى الساحل الشمالي لسورية حيث تقع أوغاريت، وأسَّسوا مستعمرة تجارية مهمة في القرن الثالث عشر قبل الميلاد قوامها مهاجرون آخيون وميكينيون من قبرص، وأصبحت أوغاريت بمنزلة مخفر أمامي للميكينيين على الساحل السوري، وتغلغل نفوذهم في داخل سورية، وظهرت لهم آثار ترجع إلى المرحلة نفسها تقريبًا في مملكة الالاخ وقد بلغت أوانيهم الفخارية أماكن أخرى في سورية مثل قطنة وقادش وما وراء حماة".[6]

ما يجب قوله هنا في الواقع إنَّ شعوب البحر قد بدأت تظهر داخل منطقتنا منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وتُعد رسائل العمارنة (1386- 1318 ق.م)[7] أول مصدر تاريخي موثق يشير إلى هذه الشعوب، وهذا ما يذكره ريب- أدي (ربّ هدّا) ملك جبيل السورية في الرسالة "EA 81" إلى الفرعون المصري أمنحوتب الثالث أو الرابع، بحيث يذكر أنّ رجلًا من الشردان، حاول قتله والاعتداء عليه: السطور 14-18:

---

[3]- تقع مدينة موكيناي في منتصف المسافة بين مدينتي كورنثة وأرجوس في منطقة البلوبونيز؛ بكر، محمد إبراهيم: ص: 25

[4]- ساره، خليل: ص: 171-173-178؛ "الحضارة الميكينية (تاريخ الإغريق الباكر) بدأت عام 1600 ق.م، وانتهت عام 1100 ق.م، والحضارة الميكينية هي الحضارة الهلّادية، مصطلح علمي مُشتق من هلّاس، بمعنى بلاد الإغريق"، قامت الحضارة الميكينية على أكتاف سكان البلاد الأصليين الذين يسميهم الإغريق بيلاسكي، ومن المحتمل أنْ يكون هذا الاسم مشتقًا من كلمة بلاغوس، أي البحر، فهو لذلك يفيد معنى (شعوب البحر)، وهم قوم لا ينتمون إلى الأسرة الهندو- أوروبية، وأول فوج تكلم اللغة الإغريقية من أسرة اللغات الهندو- أوروبية هم الآخيين، واستغرقت هجراتهم نحو ثمانية قرون 1900-1100 ق.م، وأطلق هوميروس هذا الاسم على حشودهم التي كانت تحاصر طروادة عند أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الثاني عشر، وآخيا تقع في إقليم تسالية – القسم الشمالي من بلاد الإغريق"؛ الشيخ، حسين: ص: 20-21/25؛ الناصري، سيد أحمد علي: ص: 31؛ "ثم نجد الآخيين وهم أصحاب الحضارة الموكينية"؛ بكر، محمد إبراهيم: ص: 23.

[5]- برستيد، ج. هـ: انتصار الحضارة – تاريخ الشرق القديم، ترجمة: أحمد فخري، تقديم هذه الطبعة: ممدوح محمد الدماطي، القاهرة، 2011، ص: 248.

[6]- سارة، خليل: ص: 183-184؛ الشيخ، حسين: ص: 23.

[7]- إسماعيل، فاروق: مراسلات العمارنة الدولية، أنانل للطباعة والنشر، دمشق، 2010، ص: 31- 37؛ يذكر عن تاريخ الرسائل أنّها كانت بين 1360//1336 ق.م، وعن مراحل حكم أمنحوتب الثالث والرابع أنّها كانت: 1390-1352 ق.م، و1352-1336 ق.م، وعن مرحلة حكم شوبيلوليوما الأول أنّها كانت: 1343-1323/1322 ق.م

"(ولذلك) مورس عمل شرير بحقي، (إذ) هاجمني رجل بخنجر، لكني قتلته، والشرداني الذي أعرفه رجل إلى عبدي أشيرة، (لأنه) بأمره مورس هذا الفعل."[8]، ولدينا أيضًا رسالتان يشتكي فيهما للفرعون المصري، هما: " EA 122: السطور: 31–39" وبّخورا ارتكب جرمًا فادحًا بحقي، إذ أرسل رجالًا سوتيين، وقتلوا رجالًا من الشرداniين"[9]، والرسالة: "EA 123: السطور: 9–17" ثمة فعل، مما لم يحصل منذ الأزل، ارتُكب بحق مدينة جُبلا، فقد أرسل رجالًا سوتيين، وقتلوا رجالًا من الشرداniين"[10]. ولدينا الرسالة " EA 151" وهي من ملك صور أبي ملكي إلى أمنحوتب الرابع، وفيها إشارة إلى أرض الدانونا، السطور: 49–58: لقد كتب الملك، سيدي إليّ ما يأتي: اكتب إليّ عمّا سمعته عن بلاد كنعان، (أقول:) لقد مات ملك بلاد دانونا، وصار أخوه ملكًا بعده، وبلاده تشهد السلام، النيران التهمت القصر الملكي في مدينة أوجاريت، لقد التهمت نصفه، ونصفه (الآخر) لم يعد قائمًا، ولم تعد هناك قوات بلاد الحثيين"[11]؛ ومن الرسائل المهمة جدًا "EA 38"، وهي من حاكم قبرص "آلاشيا" إلى امنحتب الرابع، الذي يذكر فيها، السطر 10: "الآن، ها هم رجال بلاد لوكّي، سنة بعد السنة، يحتلون قرى من بلادي"،[12] وهذا يُعد إشارة واضحة إلّا أنّ الأمر تجاوز الاستيطان العادي كتجار أو غير ذلك، إلى تأسيس مراكز خاصة بهم بالقوة، ومن ثمَّ يمكننا القول: إنَّ تلك القبائل والشعوب لم تأتِ فجأةً إلى المنطقة كما يتصور بعضهم، وإنّما استمر دخولها إلى المنطقة لقرون من الزمن تبعًا للتطورات السياسية الخاصة بعالم بحر إيجة، وبنفس الوقت تبعًا لوضع القوى الموجودة في المنطقة في قوتها التي تمنع الاضطراب والفوضى، وفي ضعفها الناتج عن استمرارية الحروب فيما بينها مراحل طويلة الذي يساعد في التغلب عليها وانتشار الاضطراب والفوضى. ولهذا نلاحظ مع نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد أنّ الموجة الجديدة من القبائل الدورية لم تستغل فقط الضعف الميكيني، وإنَّما استغلت أيضًا الضعف عند الحثيين، فساعدها ذلك في متابعة السير

[8]– إسماعيل، فاروق: مراسلات العمارنة الدولية، ص: 292؛ الحويلي، سليمان حامد: شعوب البحر في المصادر النصية والأثرية ومظاهر الخلط في تمثيلهم في النقوش المصرية، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، مجلد (16)، القاهرة، 2015، ص: 191.

[9]– إسماعيل، فاروق، مراسلات العمارنة الدولية، ص: 365؛ الحولي، سليمان حامد: ص: 191.

[10]– إسماعيل، فاروق، مراسلات العمارنة الدولية، ص: 367؛ الحويلي، سليمان حامد: ص: 191.

[11]– إسماعيل، فاروق، مراسلات العمارنة الدولية، ص: 417: "بلاد دانونا مملكة صغيرة في المناطق الشرقية من سهل كيليكيا (شمالي خليج الاسكندرونة)، لا يرد ذكرها في الرسائل الأخرى، تذكر في الوثائق المصرية والحثية والفينيقية أيضًا"؛ الحويلي، سليمان حامد: ص: 192– 212؛ "وطبقًا لخطابات العمارنة، فيعتقد أنْ تكون أرض الدانونا لها علاقة بسهل أدنا في قيليقيا بآسية الصغرى".

[12]– إسماعيل، فاروق، مراسلات العمارنة الدولية، ص: 221؛ "بلاد لوكّي/لوكّا هي مناطق الساحل الكيليكي، جنوبي أضنة، حيث يجري النهران سيحون وجيحون"؛ الحويلي، سليمان حامد: ص: 192؛ "لوكو: تقع جنوب غرب آسية الصغرى".

باتجاه المنطقة، ومن ثمَّ دفعت كل شيء أمامها، فنشأت الفوضى في كل مكان، وعلى ما يبدو أنّ العناصر المشاركة في الحرب كانت مزيجًا من القادمين الجدد، ومن العناصر الغريبة القاطنة في المنطقة منذ زمن بعيد[13].

إذًا لعوامل متعددة ومنها بشكل أساسي الضعف الميكيني منذ أواخر القرن الثالث عشر حتى نهاية القرن الثاني عشر قبل الميلاد، والاضمحلال والتدهور في القوة، وذلك نتيجة لصراعهم مع طروادة[14]، ذلك كلّه أدّى إلى أنْ تكون بلاد الإغريق في حالة فوضى واضطراب، الذي استغلته قبائل الدوريين (الهندو – أوروبية)، وبدأت تتدفق على بلاد الإغريق على شكل موجات غازية ومهاجره من الشمال، وكانت النتيجة هي تدمير أماكن الحضارة الميكينية، وما تبقى من مراكز الحضارة المينوية، ودفعوا أمامهم كل شيء، وتابعوا هجومهم باتجاه كريت، وهدموا ما بقي من مدنها وقصورها[15]؛ وهنا يأتي

---

[13]– فرزات، محمد حرب: عوامل سياسية واقتصادية في تطور سورية في العصر الآرامي القديم (حتى أواخر القرن الثامن ق.م)، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، العدد (19–20)، 1985، ص: 172؛ "الشعوب الآخائية وغيرها التي كانت فرت من وجه الغزو الدوري، لكي تبحث بالقوة عن وطن جديد على شواطئ آسية الصغرى، وسورية وفلسطين ومصر وبرقة، أيّ على امتداد شواطئ الحوض الشرقي للبحر المتوسط"؛ الحويلي، سليمان حامد: ص: 192.

[14]– سارة، خليل: ص: 191–224/195–225؛ "دارت حول طروادة رحى الحرب الطروادية بين الإغريق (الميكينيين أو الآخيين) والطرواديين نحو عام 1200 ق.م"، وعن مدة الحرب يذكر أنّها استمرت نحو عشر سنوات، وبالنسبة إلى موقع طروادة في العربية وإليوس عند هوميروس، فإنها تقع في إقليم ميسيا في شمال غرب آسية الصغرى (الأناضول)، إذ يجدها من الغرب بحر إيجة، ولا تبعد عن مدخل الدردنيل أكثر من أربعة أميال، وعن أصل الطرواديين يذكر؛ "تدل الظواهر جميعها بشكل عام على أنّ سكان طروادة كانوا خليطًا من مختلف الشعوب القاطنة على شواطئ آسية الصغرى، وتدل المكتشفات الأثرية على أنّ حضارة طروادة كانت مزيجًا من حضارة كريت وميكيناي مع عناصر من الحضارات الآسيوية"؛ الشيخ، حسين: ص: 26؛ الناصري، سيد علي أحمد: ص: 68– 69 "الحرب الطروادية هي أشهر حرب خاضها الآخيون والموكينيون، وكانوا شعبًا عدوانيًا مقاتلًا بغريزته، وأنّ آثارهم تدل على أنّهم حاصروا أكثر مما حوصروا، وسقوط طروادة كان عام 1184 ق.م"؛ بكر، محمد إبراهيم: ص: 27؛ "فإنّ حرب الآخيين ضد طروادة، التي قادها ملك موكيناي ربما قامت في بداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد من نحو 1194 إلى نحو 1184 قبل الميلاد".

[15]– سارة، خليل: ص188 "إنّ هذا الغزو للقبائل الدورية يعدّ الموجة الرابعة والأخيرة، ودخلت شبه جزيرة البلوبونيز عند نهاية عصر البرونز 1150 ق.م، وبداية عصر الحديد 1100ق.م، والحرب الطروادية انتهت عام1184ق.م"؛ الشيخ، حسين: ص: 26 "إلّا أنّه ابتداءً من أواخر القرن الثالث عشر حتى نهاية القرن الثاني عشر ق.م، بدأت الحضارة الموكينية تضمحل وتتدهور ونحو القرن العاشر ق.م كانت الحضارة الموكينية قد اندثرت نتيجة لغزو القبائل الدورية 1100ق.م، وتمثلت نتيجة هذا الاندثار في مرحلة من التخلخل سادت المجتمع اليوناني حتى نحو 800 ق.م"؛ الناصري، سيد أحمد علي: ص: 70 "اهتزت بلاد اليونان وحوض بحر إيجة خلال القرن الثاني عشر ق.م لحركة هرج سكاني شملت منطقة البحر الأبيض المتوسط كلها ومن الواضح أنّ القبائل الغازية كان مصدرها قارة آسية الصغرى، وأن إمبراطورية الحثيين سقطت تحت جحافل هؤلاء الغزاة كما أنّ مصر قد تعرضت على أيديهم لهجومين متتاليين أُشير اليهما باسم غزوة الإخايواشا والدانونا (الدوريين الإغريق)"؛ بكر، محمد إبراهيم: ص: 32–33 "وتمثل الخطر الخارجي في هجوم قبائل الدوريين الذين كانوا يؤلفون مع اليونيون والآخيين والأيوليين المجموعات الرئيسة التي تألفت منها القبائل الإغريقية القديمة وليس أدنى شك أنّ الحضارة الموكينية قد سقطت تحت وطأة هجمات القبائل الدورية بعد أنْ أصابها الفساد ويرجع معظم المؤرخين سقوط الحضارة الموكينية إلى استعمال القبائل الدورية المهاجمة للأسلحة الحديدية

السؤال، هل وقف هؤلاء عند جزيرة كريت، أم تابعوا سيرهم باتجاه مناطق أخرى، كجزيرة قبرص القريبة من جزيرة كريت نفسها؟ ومن الملفت للنظر الذي يؤكد ما قيل، أنّ نهاية حرب طروادة كانت مع مجيء هؤلاء (انظر الهامش 14)، وصادف التاريخ نفسه أيضًا نهاية الإمبراطورية الحثية، ومن ثمَّ فإنّه على ما يبدو من خلال دفعها لكل شيء أمامها، قد دفعت أمامها أيضاً المتحاربين في طروادة نفسها، ووصلت إلى قلب الأناضول بالشكل السريع والمفاجئ، ودفعت أمامها هناك التجمعات البشرية المختلفة، التي بدورها ربما ساعدت في سقوط الإمبراطورية الحثية، وهذا أدى إلى مزيد من الفوضى، واستغلها الجميع، وانعكس ذلك على بلاد الشام في فوضى مدمرة بحيث سقط عدد من الممالك سواء في الداخل أو من الممالك الساحلية، والدليل على ذلك أنّه ما سُمي بشعوب البحر كانت عبارة عن قبائل متعددة وموزعة في مناطق مختلفة بدءًا من الأناضول وصولًا حتى مصر، وفي البحر من جزيرة كريت حتى قبرص حتى الساحل السوري وصولًا حتى مصر، وهذا يدل على عدم خضوع هؤلاء لقيادة موحدة، أو مركز سياسي مجدد، أو لملك واحد، أو لمملكة واحدة، وإنَّما الذي كان على ما يبدو أنّ لكل قبيلة زعيمها الخاص بها، لذلك لم ينته الأمر بأي قبيلة إلى إنشاء دولة معينة سواءً في الأناضول أو على أرض بلاد الشام ويمكننا القول: إنَّ تلك الحرب كانت مع تحرك القبائل الدورية، ودفع الآخرين أمامها كإعصار قوي، وكانت نهايته عند مصر

– مملكة أوجاريت والملك الحثي شوبيلوليوما الأول:

ومن المفيد أنْ نذكر بالمقابل شيئًا عن التطورات السياسية في منطقتنا[16]، ومن ثمَّ فإنّ النهضة السياسية والعسكرية للمملكة الحثية مع بدايات القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وبشكل خاص زمن ملكها شوبيلوليوما جعلتها القوة الوحيدة في منطقة الأناضول كلّها، وكان يتصف شوبيلوليوما بالطموح العسكري الكبير، وجسد ذلك من خلال السيطرة على أجزاء كبيرة من الشمال السوري[17]، ولا شك فإنّ القيام بفعل ذلك كان من أجل حماية المصالح الاقتصادية للحثيين في تلك المناطق ضد أي منافس آخر، والجدير بالذكر هنا كنوع من التطور السياسي نرى أنّ الملك الحثي يكتب لملك أوجاريت نقمادو

[16]– بكر، محمد إبراهيم: ص: 19–20 "القسم الأول من هذه المرحلة الزمنية (العصر الهلاوي الوسيط، العصر المينوي من القرن 21–17ق.م) عاصر ظهور القبائل الحثية في وسط آسية الصغرى هؤلاء الذين كانوا يتحدثون لغة هندو–أوروبية

[17]– برستيد، ج. هـ: ص: 248 "وقامت الإمبراطورية الحثية الثانية قرابة 1400ق.م واستمرت مدة قرنين من الزمن صاحبة السلطان والنفوذ في آسية الغربية وكان مؤسس هذه الإمبراطورية هو شوبيلوليوما أكفأ قائد عرفته آسية الغربية، ولما تقدم شوبيلوليوما في سوريا وعلى شواطئ الفرات بعد عام 1400ق.م، أخذ يقضي على نتائج الانتصارات التي أحرزها تحتمس الثالث في تلك البلاد، ولم يكن هناك تحتمس آخر ليرد عدوان هذا القائد الحثي القوي".

الثاني، كما في النص (RS 17.132)[18]، ويذكّره سوبيلوليوما : "بأنّ أجداد (أسلاف) نقمادو (الثاني) كانوا أصدقاءً للملوك الحثيين، وليسوا أعداءً لهم"، وبهذا فإنّ تعبير شوبيلوليوما السابق هو مؤشرٌ على تأكيد العلاقات الطيبة بين الطرفين الأوجاريتي والحثي، التي تعود إلى مراحل أقدم من الملكين شوبيلوليوما ونقمادو الثاني[19]، ونحن بطبيعة الحال بسبب عدم توافر النصوص المكتوبة قبل القرن الرابع عشر قبل الميلاد في أوجاريت، وعدم الكشف عن أيّ أرشيف آخر قبله يتحدث عن تلك العلاقات، لذلك لم نستطع الدخول في مجال العلاقات الحثية مع مملكة أوجاريت قبل القرن المذكور.

على أية حال فإنّ الملك الحثي شوبيلوليوما بدأ بداية حملت في مضمونها الحنكة السياسية، بحيث إنَّه اتبع الأسلوب السياسي- الدبلوماسي من خلال الرسائل مع الملوك الآخرين، وكان ذلك ليس فقط على مستوى ممالك معينة في سوريا، وإنّما أيضًا ذهب إلى أبعد من ذلك، فكانت هذه البداية أيضًا مع مصر الإمبراطورية الرئيسة المنافسة للحثيين، وكما يذكر كلود شيفر: "دون شك حاول شوبيلوليوما أنْ يضع نفسه مكان الفرعون الذي كان السيد التقليدي والحامي لمملكة أوجاريت حتى ذلك الوقت فعليًا"[20]، وعلى الرغم من تخوف الآخرين من القوة الحثية وبشكل خاص الميتانيين الذين أصبحوا أصدقاءً للمصريين[21]، وهذه الصداقة تتضمن بشكل رئيس التحالف المشترك بين الطرفين[22]، فإنّ شوبيلوليوما كتب إلى الفرعون المصري أمنحوتب الثالث (أخناتون) EA 41، وكان حديث شوبيلوليوما عن الصداقة والسلام التي كانت مع أمنحوتب الرابع والد أخناتون، وأنه يرغب

---

[18]- PRU IV,284؛ Soldt. W. H, van, Studies in the Akkadian of Ugarit. Dating and Grammar, AOAT 40, 1991, 2; Aboud. J, Die Rolle des Konigs und seiner Familie nach den Texten von Ugarit, Ugarit- Verlag, Munster, 1994, 34, 47.

[19]- في الواقع ما يؤكد العلاقات الطيبة بين الطرفين الحثي والأوجاريتي، هي الرسائل التي أرسل بها أميستمرو الأول، ومن بعده خليفته نقمادو الثاني إلى الفراعنة أمنحوتب الثالث وخليفته أمنحوتب الرابع، إذ إنَّنا نلاحظ أنها لم تتضن أية شكوى ضد الحثيين، وإنَّما كانت في مضمونه تؤكد الصداقة بين الطرفين الأوجاريتي والمصري. (الرسائل هي: 45-46-47-48)؛ إسماعيل، فاروق: أخبار أوغاريت في مراسلات العمارنة، مجلة دراسات تاريخية، العدد(101-102)، جامعة دمشق، 2008، ص: 59-62؛ أيضًا للمؤلف نفسه: مراسلات العمارنة الدولية، ص: 231- 237.

[20]- Schaeffer. C. F.A, Ugarit und die Hethiter – Nach den in Sud- Archiv des Palastes 1953 entdeckten Keilschriften, AFO 17, 1954- 1956, 94.

[21]- Klengel, H., GS I, Berlin, 1969, 40.

[22]- إسماعيل، فاروق: مراسلات العمارنة الدولية، ص: 38؛ "ثمّ استمر الصراع الميتاني-المصري حتى تمّ التحالف بينهما في مطلع القرن الرابع عشر، خلال عهدي أرتتما الأول وتحتمس الرابع، وتمّ تنظيم الجدود المشتركة، وتوطد تحالفهما خلال عهد أمنحتب الثالث الذي كان يمت بصلة القربى إلى الملوك الميتانيين".

-Klengel. H, GS I, Berlin, 1969, 40.

في استمرار ذلك مع أخناتون أيضًا[23]، ولكن على ما يبدو أنّه لم يلقَ أي رد من أخناتون بخصوص ذلك، وهنا يمكن القول: إنَّ السبب في عدم الكتابة هو انشغاله بتعاليمه الدينية الجديدة، والوضع الداخلي في مصر[24]، وهذا ما ساعد الملك الحثي في أنْ يكون القسم الشمالي من سوريا مفتوحًا أمامه دون أيّة صعوبة تُذكر، والقوة الميتانية لم تستطع الوقوف منفردة في وجهه[25]. ولا بدَّ من الإشارة هنا، أن الوجه السياسي للعلاقات الطيبة بين الحثيين ومملكة أوجاريت، استمر بالوتيرة نفسها حتى نهاية الإمبراطورية وأوجاريت معًا، ويجب ألّا ننسى أنّ مملكة أوجاريت وصلت حدودها في هذه المرحلة إلى أقصى اتساع لها، حتى حدود حلب حاليًا، وحماة أيضًا، وفي الشريط الساحلي جنوبًا حتى سيانو[26] (حدود النفوذ المصري الجديدة)، وشمالًا حتى موكيش (ألالاخ)، ومن ثمَّ يمكننا القول: إنَّه مع السيطرة الحثية الجديدة كانت مملكة أوجاريت المستفيد الأول[27]، بحيث إنَّها استطاعت الخلاص من التهديد الميتاني المستمر لها، واستطاعت الخلاص من الممالك المجاورة لها نهائيًا كمملكة نوخاشي،[28] ومملكة نيعي[29]، وبضم أراضي الممالك المنهارة لها، أصبح لأوجاريت نوع من السيطرة السياسية المباشرة عليها، وتمتعت بنوع من الحرية

---

[23]– إسماعيل، فاروق: مراسلات العمارنة الدولية، ص: 225.

-Moran. W. L, Les d, El- Amarna, Paris, 1987, 210- 212.

[24]– برستيد، ج. هـ: ص: 140 "وبدأت الفوضى والاضطرابات تأخذ سبيلها في كل مكان، ولم تقتصر على مصر وحدها، بل وصلت أيضًا إلى ممتلكات مصر في آسية، فأخذت هذه الولايات تعدُّ نفسها للقيام بالثورة فالحثيون نزلوا من آسية الصغرى، واستولوا على حدود فرعون الشمالية في سوريا، وكانت هذه المتاعب والاضطرابات في داخل مصر وخارجها على أسوأ ما يكون عندما مات أخناتون في تل العمارنة"؛ عبد الحميد أحمد، محمود، تاريخ وحضارة مصر الفرعونية، ج(1–2)، جامعة دمشق، 2011–2012، ص: 204–224.

[25]– برستيد، ج. هـ: ص: 248: "كانت هناك ثورة الملك أخناتون التي أضعفت من روح المصريين الحربية وأسلمتهم لليأس، ولم يكن في مقدورهم عمل شيء إلّا أنْ يرقبوا تقدم الحثيين في سوريا وإخضاعهم لها، ثم ضمها إلى الإمبراطورية الحثية، وعبر شوبيلوليوما الفرات بعد ذلك ودحر قوات الميتاني، وهكذا أصبح الحثي مسيطرًا على جزء كبير من آسية الغربية"؛ عبد الحميد أحمد، محمود: ص: 224.

Beckerath, J. von, Abriss der Geschichte des Alten Agypten, Munchen- Wien, 1971, 40.

[26]– إسماعيل، فاروق: مراسلات العمارنة الدولية، ص: 48 "وكانت سيانو مركز مملكة صغيرة جدًا في مناطق جبلة وتشكل فاصلًا بين مملكتي أوجاريت وأمورو وموقعها معروف حاليًا بالاسم نفسه (8كم شرقي جبلة) وتقتصر أخبارها على ما ذكر في وثائق أوجاريت وبعض النقوش الآشورية الحديثة وكانت سيانو خلال عصر العمارنة تابعة لمملكة أوجاريت"

[27]– بخصوص الحدود لدينا النصوص الآتية: RS 17.62, 17.339, 17.366, PRU IV, 65- 69

[28]– إسماعيل، فاروق: مراسلات العمارنة الدولية، ص: 53 "امتدت أراضيها في المناطق السهلية والبادية المتصلة بها شرقًا، بين أطراف مدينتي حلب وحماة، وبين نهري الفرات والعاصي".

[29]– إسماعيل، فاروق: مراسلات العمارنة الدولية، ص: 54 "نشأت في منطقة سهل الغاب (وادي العاصي)، ومركزها موقع قلعة المضيق (أفاميا في العصور الكلاسيكية)".

بشكل أكبر في تجارتها، وهذا ما نسميه بالعصر الذهبي لمملكة أوجاريت بين القرنين الرابع عشر وصولًا حتى بدايات القرن الثاني عشر قبل الميلاد؛ ومن الضروري أن نذكر هنا بعض النصوص التي توضح لنا تلك التطورات السياسية الجديدة في المنطقة:

فضلًا عمَّا ذُكر أعلاه في النص RS 17.132، يقول فيه شوبيلوليوما أيضًا: "إنَّ نوخاشي وموكيش هم أعداء معي الآن، وأنت نقمادو لا تخافهما، وأنا عندي ثقة كبيرة بك، وإذا أرسل هؤلاء الملوك جنودهم، وهاجموا بلدك، فأرسل اليّ رسلك بسرعة كبيرة من أجل المساعدة". وفعلًا نلاحظ فيما ذكره النص RS 17.340، كيف أنّ الملك إيتور– أدّو من موكيش، والملك أدّو– نيراري من نوخاشي، والملك أكي– تيشوب من نيعي، هاجموا مدنًا من أوجاريت ودمّروها، وكيف أنّ ملك أوجاريت نقمادو طلب مساعدة الملك الحثي، ولبى الأخير طلب نقمادو، وقام بالقضاء على تلك الممالك الثلاث[30]، واحتفالًا بذلك النصر ذهب نقمادو إلى موكيش، وهناك تمّ عقد اتفاق بينه وبين شوبيلوليوما:

– نص الاتفاق: RS 17.227:[31]

1– الملك الشمس شوبيلوليوما يتكلم ما يأتي،
2– الملك الكبير ملك حثي البطل:
3– إنّ الملوك من نوخاشي،
4– والملك من موكيش، ثاروا ضد الشمس، الملك الكبير، سيدهم،
5– أمَّا نقمادو ملك أوجاريت،
6– فقد اتحد مع الشمس، ولم يتمرد ضده،
7– الملوك من نوخاشي، وملك موكيش،
8– هددوا نقمادو ملك أوجاريت،
9– وقالوا، لماذا
10– أنت لم تتمرد معنا
11– ضد الشمس؟
12– ولكن نقمادو رفض

[30]– PRU IV, 42؛ Schaeffer, 1954/56, 95؛ Schuler, E. von., Vertrag zwischen Suppiluliuma I. und Niqmadu II. Von Ugarit, TUAT 1/3, 1982/85, 131؛ Aboud, 1994, 48.

[31]– PRU IV, 40؛ Dietrich, M., Loretz, O., Der Vertrag zwischen Suppiluliuma und Niqmadu, Eine philologische und kulturhistorische Studie, WO 3, 1966, 208- 210؛ Schuler, 1982/85, 133- 134؛ Soldt, W. H. von, Fabrics and Dyes at Ugarit, UF 22, 1990, 321, 357؛ Aboud, 1994, 48- 51.

13- العداوة مع الشمس، الملك الكبير، سيده،
14- والشمس
15- الملك الكبير، رأى الثقة في نقمادو،
16- وحالًا فقد عقد شوبيلوليوما
17- الملك الكبير، ملك بلاد حثي،
18- الاتفاق مع نقمادو
19- ملك أوجاريت.....

إنّ باقي فقرات الاتفاق هي تسمية الكميات من الذهب والفضة، وغير ذلك من الهدايا التي ستقدمها أوجاريت للملك الحثي.

وضمن هذا السياق، ومن خلال النصوص في المراحل اللاحقة للملكين شوبيلوليوما الأول ونقمادو الثاني، في زمن خلفائهم، يمكننا القول باستمرارية هذا النوع من العلاقات بين الحثيين وأوجاريت، بحيث تقوم مملكة أوجاريت بتقديم الهدايا للحثيين مقابل تقديم الحماية المباشرة لها، وضمان الاستقرار السياسي في المنطقة المحيطة بها، ومن ثمَّ تستطيع أوجاريت بهذه الحالة ممارسة تجارتها بكل حرية وأمان؛ وكتأكيد لحرية العلاقات التجارية بين أوجاريت والبلدان الأخرى، التي تؤكد بدورها طيب العلاقات السياسية، إذ إنّ أوجاريت اتصفت بعلاقاتها التجارية مع الجميع، لدينا المعاهدة التجارية RS 17.130، ويتضمن هذا النص: أنّه يُسمح للتجار الحثيين البقاء في أوجاريت فقط في فصل الصيف، وممنوع عليهم شراء البيوت أو الأراضي الزراعية.[32]

وفضلًا عن النص السابق نذكر أيضًا نصًا آخر يؤكد حرية أوجاريت التجارية: KTU 2.38، وهو عبارة عن رسالة من ملك صور إلى ملك أوجاريت، ويذكر له: "أنّ السفينة المتجهة إلى مصر هي الآن في صور"[33]، ولدينا النص: "KTU 4.352" الذي يؤكد العلاقات الاقتصادية بين أوجاريت وقبرص.[34]

بعد استعراضنا للتطورات السياسية والعلاقات بين أوجاريت والحثيين والوضع السياسي في أوجاريت بشكل عام، لا بدَّ من السؤال عن السبب في التحول الأوجاريتي من الولاء للسيد المصري التقليدي إلى الولاء للسيد الحثي الجديد؟

---

[32]- PRU IV, 103؛ Klengel, H., Syria 3000 to 300 B.C. A handbook of Political History, Berlin, 1992, 138, 146؛ Aboud, 1994, 95.

[33]- Dietrich, M., Loretz, O., Historisch- Chronologische Texte aus Alalah, Ugarit, Kamid el-loz/Kumidi und den Amarna- Briefen, TUAT 1/5, 1982/ 85, 507؛ Aboud, 1994, 101- 103.

[34]- Klengel, 1992, 138؛ Aboud, 1994, 94.

للوهلة الأولى يمكن القول: إنَّ ذلك حصل بالقوة، وفي الواقع تمّ فعلًا استخدام القوة الحثية ولكن ليس ضد أوجاريت، بل على النقيض تمامًا قدم لها شوبيلوليوما المغريات كلّها، إذ منحها الأراضي كلّها لثلاث ممالك منهارة أو تمّ تدميرها والقضاء عليها، فضلًا عن ذلك كما لاحظنا كأنّ الملك الحثي كان حذرًا في خطابه مع الملك الأوجاريتي وذكّره فورًا بالصداقة القديمة بين الأسلاف، إذًا ماذا يكمن وراء ذلك كلّه بمعزل عن غنى أوجاريت، وما ستقدمه للحثيين من أموال؟

كما هو معروف أنّ أوجاريت هي مملكة التجارة، وتعيش على التجارة بشكل رئيس، وهذا يعني أنها بحاجةٍ إلى من يقدم لها الحماية المباشرة من الأعداء، وحماية تجارتها والطرق التجارية، وكما لاحظنا من خلال رسائل تل العمارنة كيف كانت قبائل شعوب البحر تنتشر في المنطقة في مراكز ثابتة، سواءً في قبرص أو اللوكا أو الدانونا وفي البحر المتوسط بشكل عام وأعمال القرصنة المرافقة لها، وذلك منذ بدايات القرن الرابع عشر قبل الميلاد على الأقل، وبالمقابل يُعدِّ هذا دليلًا على ضعف النفوذ المصري في القسم الشمالي من الساحل السوري على الأقل، وما يقابله من جزر في البحر المتوسط، فضلًا عن ذلك كلّه أنّه في هذه المرحلة بالذات كان الفرعون أخناتون على رأس الحكم في مصر، الذي انشغل بأموره الداخلية وأهمل السياسة الخارجية لمصر وبشكل خاص في سورية، وإلّا لما كان ما يُسمّى برسائل تل العمارنة من حيث المبدأ، ولا طلب العون والمساعدة ضد الأخطار المحدقة بكثير من الممالك السورية.[35]

وعلى ما يبدو أنّ ملوك أوجاريت كانوا بعيدي النظر سياسية، وأدركوا تمامًا أنّ المصلحة الأوجاريتية هي مع الأقوى والقريب منها جغرافيًا، والقريب في الوقت نفسه من العدو المهدد لها القادم من بحر ايجة، فما كان منها إلّا أنْ تكون مع الملك الحثي السيد الجديد، وبهذا تجنبت عداوة الملك الحثي، وتجنبت الدمار لها والقضاء عليها كما حصل مع غيرها من الممالك كنوخاشي على يد الملك الحثي نفسه، ومن ثمَّ أطالت بعمر بقائها قرنين إضافيين من الزمن، وفي الواقع يمكن القول: إنَّ أوجاريت كانت على حق في

[35]- برستيد، ج. هـ: ص: 142- 144 "وبعد أخناتون بمدة بسيطة زالت أيام حكم الأسرة الثامنة عشرة نحو 1350ق.م وانتقل الحكم إلى أسرة جديدة التاسعة عشرة، وكان من أهم ملوكها سيتي الأول (1313- 1292ق.م)، وابنه الملك رمسيس الثاني (1292- 1252ق.م) وبذل كل من الأب والابن جهودًا جبارة متتالية ليعيدا -ولو إلى حد ما- الإمبراطورية المصرية، ولكنهما لم يستطيعا طرد الحثيين من سورية، لأنّ هؤلاء الغزاة الأقوياء الذين جاؤوا من آسية الصغرى، كان لهم مواهب حربية ممتازة، وكانوا قد عرفوا استعمال الحديد وصنعوا أسلحتهم منه، في حين كانت الإمبراطورية المصرية آخذة في التضاؤل، وكانت آخر الممالك العظيمة التي عاشت في العصر البرونزي"؛ الحويلي، سليمان حامد: ص: 192.

سياستها، وهذا ما تمّ إثباته فيما بعد في الحروب مع قبائل شعوب البحر، إذ إنّ الحثيين في دفاعهم عن الأناضول ضد هؤلاء خلال مراحل طويلة، ومعاركهم البحرية مع هؤلاء أيضًا، كان ذلك إبعادًا لهم عن شمال سوريا بشكل غير مباشر، وربما عن سوريا كلّها أيضًا، أمَّا بالنسبة إلى مصر فإنّها قدمت ما أمكن خاصة بعد مرحلة اتفاق السلام بين حاتوشيلي الثالث ورعمسيس الثاني[36]، ولكن عند اللحظات الحاسمة كانت داخل حدودها ودافعت عن نفسها فقط، وكان ذلك بالتزامن مع الانهيار الكامل للحثيين والممالك السورية على الشريط الساحلي بشكل خاص.

– التعاون مع الحثيين والدفاع المشترك عن الأناضول:

بداية لا بدَّ من القول: إنّ المفصل الأساسي في العلاقات بين الحثيين والمصريين كانت معركة قادش، وذلك زمن الملك الحثي مواتالي الثاني والفرعون المصري رعمسيس الثاني، بحيث كانت المفاجأة في السنة الحادية والعشرين من حكم رعمسيس الثاني عقد اتفاق السلام بين الطرفين زمن الملك الحثي حاتوشيلي الثالث نحو منتصف القرن الثالث عشر قبل الميلاد[37]، ولا بدَّ من القول أيضًا: إنّ قبول المصريين باتفاق السلام مع الحثيين، يؤكد تخوفهم من ذلك الخطر البعيد عنهم والمباشر على الحثيين، ومن ثمَّ أصبح أعداء الأمس أصدقاء اليوم أمام ازدياد الخطر القادم من شمال الأناضول وغربها (ما سُمّي بشعوب البحر). وفي الواقع إنّ النصوص تبيّن بوضوح القلق الحثي الشديد، بحيث أصبح الملوك الحثيين على عجلة في كل شيء، فتارة يطلبون المال، وتارة أخرى المؤن، والجنود والعتاد العسكري على رأس تلك المساعدات؛ لدينا النص RS 17.59[38] الذي يُذكر فيه أنّ الملك الحثي تودخاليا الرابع يطلب المال (50 مينة ذهبية)[39] من الملك الأوجاريتي أميستمرو، وهذا يُعدُّ من الواجبات العسكرية، ومن الواضح في هذا النص هي الصعوبات المالية التي كانت تعاني منها المملكة الحثية في تلك المرحلة؛ وفي النص RS 17.289[40] رسالة موجهة من ملك كركميش إلى ايبيرانو ملك أوجاريت، ويطلب فيها المساعدة العسكرية، ويقول: إنّ القضية هي حياة أو موت، إذ إنَّه يذكر في هذه الرسالة الوضع الصعب جدًا، الذي يعاني منه الملك الحثي، وعلى ايبيرانو القيام

---

[36]– عبد الحميد أحمد: ص: 251 وما بعدها.

[37]– عبد الحميد أحمد، محمود: ص: 243 وما بعدها.

[38]– PRU IV, 150؛ Schaeffer, 1954/56, 98؛ GS II, 379.

[39]– Eissfeldt, O., Kleine schriften II, Tubingen, 1963, 513: المينة تساوي 475 غ

[40]– PRU IV, 192؛ Schaeffer, 1954/ 56, 97؛ GS II, 392- 393؛ ders. 1992, 145.

بإرسال فرقه العسكرية، وعرباته الحربية إلى الملك الحثي لأنه بحاجة إليها؛ وهناك رسالة مهمة جدًا، وهي KTU 2.16، ولكن هذه المرة من الأمير الأوجاريتي تلميانو إلى أمه الملكة ثريل، وما يذكره هذا الأمير في الرسالة أنّه جلس مع الملك الشمس الحثي، وأنّه هو قائد عسكري كبير، ومن ثمَّ فإن هذا النص يبيّن لنا بوضوح تقديم أوجاريت المساعدة العسكرية للحثيين في حربهم مع شعوب البحر، وهذا كان بلسان الأوجاريتين أنفسهم:

نص الرسالة: KTU 2.16:[41]

1- تحيات تلميانو
2- لثريل أمي
3- بلّغ
4- إلهي يعطيك السلام
5- أوجاريت تحميك،
6- تسلمك. أمي (تعطيك الحماية والسلام)
7- لتعرف (أمي) أني دخلت
8- أمام الشمس (الوجود والجلوس مع الملك الحثي)
9- وأمام الشمس كان نور
10- كبير جدًا بداخلي. وأمي (سرور وسعادة)
11- لتشمخ كثيرا (لتعتز)
12- ولا تحمل أيّ همّ (القلق)
13- فأنا قائد عسكري كبير.
14- الكل معنا
15- بخير وسلام،
16- ومنهم
17- السلام
18- لأمي.
19- ولتكتب لي (أمي)
20- بلّغ.

من خلال ما ذُكر في الواقع يمكننا القول: إنّ المنطقة أصبحت بنوع من الفوضى، والمؤشرات أصبحت واضحة في اقتراب النهاية.

[41]- Dietrich- Loretz, 1982/85, 505؛ Aboud, 1994, 39, 119.

– وحدة المصير من الأناضول حتى مصر:

وهذا يعني نهاية المنطقة سيآسية وبداية عصر جديد، وهو ما نسميه بالفراغ السياسي نتيجة لانهيار المملكة الحثية، وانهيار عدد من الممالك السورية، والتراجع والانكماش في النفوذ المصري على مستوى بلاد الشام كلّها[42]، ومن المهم هنا أنْ نشير إلى من عاصر تلك الأحداث والنهايات بشكل مباشر، وهم الملك الحثي شوبيلوليوما الثاني، وحمورابي ملك أوجاريت، ورعمسيس الثالث الفرعون المصري، وملك قبرص ايشووارا، وللأسف لم يُكتشف حتى الآن أيّ مصدر يتحدث لنا كيف كانت الأحداث بالتفصيل، ولحسن الحظ هناك بعض النصوص المصرية التي تحدثت بالشيء القليل جدًا والمختصر عن تلك الأحداث، وبعض النصوص التي وُجدت في الفرن الأزجاريتي قبل الدمار، وهي الرسائل التي تمت بين حمورابي وملك قبرص (آلاشيا) ايشووارا: الرسالة الأولى وهي من ملك قبرص إلى ملك أوجاريت الأخير حمورابي:(RS 20.18 (Ug. 5, Nr. 22 :[43]

نص الرسالة:

1– يقول ما يلي ايشووارا
2– حاكم (ملك) قبرص
3– إلى ملك أوجاريت
4– لتكن أنت وبلدك بخير
5– بسبب المسألة أو الأمر، أنّ الأعداء
6– لكل ما يخص بلدك
7– وسفنك أيضًا
8– قاموا
9– بإيذائه.

---

[42]– عبد الحميد أحمد، محمود: ص: 273 "وجاء بعده (رعمسيس الثالث) كل من رعمسيس السابع والثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر، وكانت مدد حكمهم من أظلم وأحلك المراحل في تاريخ مصر، وأخيرًا استطاع الكهنة الاستيلاء على العرش، وتأسيس أسرة جديدة هي الأسرة الحادية والعشرون، وتكون مصر بذلك قد ودعت عصر الدولة الحديثة، وبدأت عصرًا جديدًا أطلق عليه الباحثون اسم العصر المتأخر أو عصر المرحلة الثالثة".

[43]– Berger, P. R., Die Alasia- Briefe Ugaritica 5, Noug. Nm. 22- 24, UF 1,1969, 217; Dietrich, M., Loretz, O., 1982/85, 509؛ Helck, W., Die Beziehungen Agyptens zu Vorderasien in 3. Und 2. Jahrtausend v.Chr, Wiesbaden, 1971, 129؛ Lehmann, G. A., Die Sikalaju- Ein neues Zeugnis zu den " Seevolker " in spaten 13. Jh. V.Chr, (RS 34. 129), UF. 11, 1979,59.

10- ومن المحتمل أن يقوموا بهجوم مفاجئ
11- ضد بلدك.
12- (أتمنى) ألّا ترسل إليّ
13- أيّة شكوى !
14- الآن
15- بالنسبة إلى العشرين سفينة، التي العدو
16- عند الجبال
17- لم يرسو
18- بها بعد
19- وتبدو كأنّها دون موقع أو مكان
20- واختفت فجأةً.
21- وأين هم أو متى سيظهرون
22- نحن لا نعرف.
23- بسبب أنْ تعرف
24- بسبب حمايتك
25- أنا أكتب إليك.
26- ها قد أُخبرت وعلمت (بذلك) أنت.

وفي الرسالة الثانية، وهي أيضًا من ملك قبرص إلى ملك أوجاريت:
RS L. 1 (Ug. 5 Nr. 23):[44] المذكور في هذه الرسالة أنّ السفن العدوّة شوهدت في البحر الأعلى، ولهذا يجب على حمورابي أنْ يقوّي نفسه باحتفاظه بالجنود والعربات، ويحذره بأنّ العدو يهاجمه بأي لحظة من الغرب:

نص الرسالة:

1- ما يلي الملك
2- لحمورابي
3- ملك أوجاريت
4- قل:
5- لتكن أنت بخير

[44]- Berger, 1969, 219; Dietrich- Loretz, 1982/85, 510; Helck, 1979, 140; Lehmann, 1970, 59

6– والآلهة تعطيك الخير
7– وتحميك
8– الذي كتبته أنت
9– أنّ سفن الأعداء تمت
10– في البحر الأعلى
11– رؤيتها
12– وما دامت أنّه في الحقيقة
13– تمت لتلك السفن رؤيتها
14– فيجب أنْ تجعل من نفسك قويًا
15– بشكل ممتاز، والآن
16– بالنسبة إلى جنودك
17– وعرباتك الحربية
18– أين تحتفظ بها؟
19– أم أنك لم تحتفظ بها مطلقًا؟
20– سيقوم من الغرب أيّ عدو
21– بمهاجمتك
22– لذلك يجب أنْ تحيط مدنك
23– بالأسوار
24– ويجب عليك وضع الجنود
25– والعربات الحربية بداخلها
26– وانتظر عدوك
27– وبهذا تكون أنت
28– قوي بالشكل الأفضل.

أمّا الرسالة الثالثة فهي من حمورابي إلى ملك قبرص:

(RS 20.238 (Ug. 5 Nr. 24:[45] وما يذكره حمورابي في هذه الرسالة لملك قبرص أنّ سفن الأعداء ستأتي إليك، والعدو أحرق مدني، وكل الجنود في بلاد حثي، وكل سفني رست في لوكو، وسفن الأعداء قد دمّرتنا، وإذا ظهرت ثانية أرجوك أن تخبرني:

[45]– Berger, 1969, 220؛ Dietrich- Loretz, 1982/85, 510- 511؛ Helck, 1979, 140؛ Lehmann, 1970, 59؛ Otten, H., Neue Quellen zum Ausklang des hethitischen Reiches, MDOG 94, 1963, 9.

نص الرسالة:

1- إلى ملك قبرص
2- أبي، قلْ:
3- ما يلي من ملك أوجاريت
4- ابنك،
5- عند أقدام أبي أنا أسجد،
6- وليكن أبي بخير،
7- بيوته، زوجاته، وجنوده،
8- كل شيء يخص
9- ملك قبرص،
10- وليكن أبي بكل الخير.
11- أبي، الآن
12- لقد أتت سفن العدو إليك
13- ومدني قد أحرقها العدو
14- بالنيران
15- وسبب الدمار
16- في وسط البلاد
17- وأبي لا يعرف
18- أنّ جنود السيد، أبي
19- في بلاد حثي
20- هم هناك، وكل سفني موجودة
21- في بلاد لوكو
22- هناك هي، ولم تصل بعد
23- هكذا، فإنّ الموقع بعيد.
24- أبي يرغب في
25- معرفة ذلك، والآن
26- سبع سفن للأعداء
27- أصبحت قريبة مني (من بلدي)
28- ولكن أيضاً
29- العدو قد دمرنا.

30– الآن، إذا ظهرت سفن الأعداء
31– ثانية
32– أرسل إليّ
33– أيّ خبر ممكن
34– ليكون عندي علم بذلك.

أصبح من الواضح لدينا من خلال الرسائل بين ملكي أوجاريت وقبرص أنّ الوضع كان سيئًا جدًا، وأنّ الأعداء قد وصلوا وأحرقوا المدن الأوجاريتية، وفي الوقت ذاته لا ندري تمامًا ما الذي كان يحصل عند الحثيين، ورأينا ذلك عند الملك القبرصي الذي كان لا يدري شيئًا عن تفصيلات الأحداث في منطقة الساحل والمناطق الحثية.

وضمن السياق نفسه لا بدَّ من ذكر آخر خبر عن الحثيين، وهو الحملة البحرية التي قام بها الملك الحثي الأخير شوبيلوليوما الثاني، واختفت الأخبار بعد هذه الحملة البحرية له، ومن ثمَّ يمكن إعلان نهاية الإمبراطورية الحثية.[46]

ومن الجدير بالذكر ضمن هذا السياق ما قاله مرنبتاح الفرعون المصري: "سأرسل الحبوب بالسفن إلى حثي حتى تبقى على قيد الحياة."، وما يذكره Helck عن هذا الموضوع: "أنّ مرنبتاح هو الفرعون الأخير الذي ذكر المملكة الحثية قبل دمارها، وفي السنة الخامسة من حكمه أرسل الحبوب للحثيين، حيث كانت المجاعة هناك ..، ورعمسيس الثالث ذكر حثي بعد دمارها".[47]

– شعوب البحر في المصادر المصرية:

بدايةً يمكننا القول ومن خلال رسائل تل العمارنة نفسها (المذكورة أعلاه، وغيرها من الرسائل): إنَّ قبائل شعوب البحر المختلفة قد تسببت في كثير من المشكلات للولاة التابعين لمصر في بلاد الشام، وجزر المتوسط في أواخر عصر البرونز الحديث، وهذا ما أدى إلى إضعاف القوة المصرية آنذاك في تلك الأنحاء، ويمكننا أنْ نضيف إلى ذلك أيضًا ونقول، إنّ العامل الحاسم في تلك المرحلة كانت المملكة الحثية واقتسام النفوذ في سوريا مع المصريين، وتراجع النفوذ المصري عن مناطق كثيرة خاصة في الجزء الشمالي من الساحل السوري، وشمال سوريا بشكل عام.

---

[46]– Otten, 1963, 20- 21؛ Lehmann, G. A., Politisch- historischen Beziehungen der Aegais-Welt des 15- 13. Jh. V. Chr. Zu Agypten und Vorderasien, einige Hinweise, ZJHF 2, 1991,121.

[47]– Helck, 1971, 222؛ Otten, 1963, 9؛ Lehmann, 1991, 120.

فضلًا عن ذلك وهذا ملفت للنظر، أنّ كل طرف من الطرفين الحثي والمصري كان يستخدم أعدادًا كبيرةً من قبائل شعوب البحر المختلفة، وذلك كمرتزقة في الجيشين الحثي والمصري، ومن ثمَّ هذا يعني استجلاب هؤلاء وتوطينهم في مناطق مختلفة عند الحثيين أو عند المصريين وبقاءهم فيها، وربما كان ذلك عاملًا من عوامل الضعف الداخلية عند الطرفين، وعندما حانت الفرصة المناسبة انقلب هؤلاء ضد الحثيين أنفسهم وضد المصريين أيضًا، وهذا ما ساعد على المزيد من الفوضى المدمرة لمنطقتنا مع بداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد[48]، ومن المناسب أنْ نذكر ضمن هذا السياق النص " RS 17.59 " وفيه يطلب الملك الحثي تودخاليا الرابع المال من أوجاريت زمن ملكها أميستمرو الثاني، ولم يطلب الجنود أو العتاد الحربي، ومن خلال هذا يمكن القول: إنَّ طلبه للمال كان في الغالب من أجل تسديد مرتبات المرتزقة، أو استئجار المزيد منهم.

ومن المناسب أيضًا أنْ نذكر ضمن السياق نفسه النص " RS 17.289 "، وهو رسالة من ملك كركميش إلى ايبيرانو ملك أوجاريت يذكر فيه: "أن الملك الشمس بحاجة إلى المساعدة العاجلة، فيجب على ايبيرانو إرسال فرقه العسكرية وعرباته الحربية إليه لأنّ القضية هي حياة أو موت".

وكما نلاحظ أنّ الملك الشمس يحتاج هذه المرة إلى الجنود والعتاد، ولم يطلب المال، والقضية هي حياة أو موت، إذًا التعبير هنا واضح جدًا بأنَّ الخطر كبير وقريب من الملك وربما يهدده بالقتل، ومن ثمَّ يمكن القول: إنَّ ذلك كان على ما يبدو نوعًا من التمرد في صفوف الجيش أو الثورة المباشرة ضد الملك من المرتزقة أنفسهم، ويمكننا في الواقع ترجيح أمر التمرد أو الثورة، لأنّه يوجد بين تاريخ هذا النص في مرحلة حكم الملك ايبيرانو نحو 1215–1213ق.م، وبين نهاية المملكة الحثية 1190–1185ق.م، ما يزيد على عقدين من الزمن على الأقل.

وفي الواقع فإنّ تأكيد ما ذكرناه يأتي مباشرة في السجلات الخاصة بالفرعون رعمسيس الثاني، إذ إنَّ بعضًا من الشردانا الذين أسرهم في معركة قادش وجدوا أنفسهم أنهم كانوا يحاربون ضد عدو من أبناء جلدتهم، وهذا يدلُّ على أنّ الجيش الحثي ضمّ عناصر من شعوب البحر أيضًا.[49]

---

[48]- برستيد، ج. هـ: ص145 "ففي مناظر المعارك الحربية التي خاضتها مصر في أواخر أيام الإمبراطورية، نرى كثيرًا من الأجانب الذين كانوا في الجيش، ففي ذلك دليل على أنّ المصريين بدأوا يفقدون تحمسهم للجندية، وأخذوا يستدعون الأجانب ليخوضوا حروبهم بدلًا منهم، وأخيرًا جاء اليوم الذي اتحد فيه أقارب هؤلاء الجنود الأجانب الذين كانوا يعيشون في موطنهم، مع غيرهم من شعوب البحر وغزوا مصر في جموع كبيرة".

[49]- الحويلي، سليمان حامد: ص: 193.

والحدث الأهم الذي كان في بداية عهده في السنوات الأولى منه، هي الموجة الأولى من موجات شعوب البحر ضد مصر، وهذا ما هو مُسجل في لوحة تانيس: "الشردان المتمردة قلوبهم، الذين جاؤوا في مراكب من وسط البحر".[50]

وفي نقش صخري بالقرب من أسوان، مؤرخ في العام الثاني من حكم رعمسيس، ومذكور فيه: "وقد أهلك محاربي الأخضر العظيم، ونامت الدلتا في سلام".[51]

وفي عهد الفرعون مرنبتاح (1224–1214ق.م)[52] تعرضت مصر لموجة جديدة من موجات شعوب البحر[53]، وفيها تحالفت قبائل ليبية (الليبو، المشواش، والقهق) مع بعض قبائل شعوب البحر مثل: (الإقواشا، التورشا، اللوكا، الشردانا، والشكش): جزء من عامود من الجرانيت بالمتحف المصري: " السنة الخامسة، الشهر الثاني، الفصل الثالث (شمو) جاء من يخبر جلالته، بأنّ رئيس الليبو الخاسئ قد غزا مع رجالٍ ونساءٍ من الشكلش"[54]، ودخل مرنبتاح معهم في معركة قوية وانتصر عليهم.[55]

وفي السنة الخامسة من حكم رعمسيس الثالث (1182–1151ق.م) حدث أول صدام على حدود مصر الغربية[56]، وهذا ما أطلق عليه الباحثون اسم "الحرب الليبية الأولى"،

---

[50] الحويلي، سليمان حامد: ص: 192.

[51] الحويلي، سليمان حامد: ص: 192–193.

[52] عبد الحميد أحمد، محمود: ص: 264؛ الحويلي، سليمان حامد: ص: 93 "يذكر أن ذلك حدث 1232 ق.م.

[53] عبد الحميد أحمد، محمود: ص: 264؛ يذكر في هامش الصفحة عن شعوب البحر الآتي: "يفترض الباحثون أنّ شعوب البحر من أصول هندو– أوروبية، هاجرت من موطنها في جنوب روسيا إلى حوض البحر الأبيض المتوسط الشرقي في المرحلة الواقعة بين 1400–1100ق.م. أما النصوص المصرية القديمة فتطلق عليهم اسم "الشماليين الذين في جزرهم"، وقد أطلق عليهم علماء المصريات المحدثون اسم "شعوب البحر"، ومن المحتمل أنهم هاجروا من موطنهم الأصلي بسبب ضغط وقع عليهم من أقوام أشد منهم قوةً وبأسًا، وكان هدفهم الرئيس الاستقرار في الأماكن الخصبة سواءً في سوريا وفلسطين أو مصر "الدلتا"؛ العيلامي، محمد: الزي العسكري لرجال شعوب البحر في الرسومات المصرية، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد(28)، جامعة الخليل، فلسطين، 2012، ص: 356؛ ما يعرف به شعوب البحر: "نقصد بشعوب البحر مجموعات من شعوب البحر الأبيض المتوسط، التي أبحرت من المنطقة الإيجية (البلقان وآسية الصغرى)، إلى جنوب غرب آسية الصغرى وشمال شرق الساحل الإفريقي، وهذا ما جعل المصريين يطلقون عليهم شعوب البحر، وكان جزء منهم هندو أوروبيين، ولم يكونوا كلهم".

[54] الحويلي، سليمان حامد: ص: 193.

[55] عبد الحميد أحمد، محمود: ص: 265: "ومن المؤكد أنّ الملك نجح في صد هذا الهجوم، إذ جاء في النصوص المصرية أنّ الأمير الليبي ولّى هاربًا في جنح الليل وحيدًا، ولم تكن في رأسه ريشة، حافي القدمين، ولم يكن معه ماءً ليحفظ عليه حياته. ويبدو أنّ عدد المهاجمين كان كبيرًا جدًا، فقد بلغ عدد القتلى ستة آلاف، وعدد الأسرى أكثر من تسعة آلاف"؛ الحويلي، سليمان حامد: ص: 193.

[56] عبد الحميد أحمد، محمود: ص: 268–269: "وقد جاء في نصوص معبد مدينة هابو: أنّ جثث المهاجمين أصبحت أكوامًا، وأنّ رعمسيس الثالث وزّع الأسرى الكثر على حصون مصر ليعملوا فيها، وهكذا خلص رعمسيس مصر من خطر الليبو وحلفائهم من شعوب البحر".

وقد صُورت هذه الحرب على الجدران بمعبد مدينة "هابو"، وعلى الجدران نفسها كُتِبَ عن هزيمة البلاد الشمالية:[57] "ارتجفت البلاد الشمالية في أوصالها، حتى البلست، والثكر، الذين دمروا أرضهم، أرواحهم جاءت من الطرف الأخير، كانوا محاربين على الأرض، وأيضًا في البحر، أولئك الذين جاءوا عل الأرض، قُتلوا وشُردوا، أولئك الذين دخلوا في مصبات النهر كانوا مثل الطير البري، الذي يتسلل الشبكة، وقد سبق زعماؤهم وقُتلوا وأُلقي بهم وأُسروا".[58] وفي العام الثامن من حكم رعمسيس الثالث لدينا كُتِبَ على الواجهة الشرقية كلّها للجناح الشمالي للصرح الثاني بمعبد مدينة هابو، بحيث يتحدث رعمسيس عمّا حدث والغزو الشمالي لسوريا:[59] "العام الثامن من عهد جلالة حورس (رعمسيس الثالث) تآمرت البلاد الأجنبية في جزرها، ومرة واحدةً انقسمت الأراضي وتبعثرت الأقطار بالمعارك، ولم تكن هناك أرض يمكنها أنْ تقف أمام أسلحتهم، من خاتي (ختا) وقودي (قدى) وقرقميش (ق- را- قا- م – شا) وأرزاوا (برث فينيقيا) وآلاشيا (برس–قبرص)، سُحقوا في وقت واحد.[60]

وقد (نصبوا) معسكرات في مكان واحد في أمورو (أ- م- را)، فأهلكوا أهلها، وأصبحت أرضها كأنّها لم تكن.... وأتوا نحو مصر، ولكن اللهب كان مجهزًا أمامهم، وقد كان حلفهم مؤلفًا من أقوام بلست (بو- را- سا- ت) وثكر (ثا- ك- كا- را) وشكلش (شا- ك- رو- شا) ودانون (دا- ى- ن- يو) ووشش (وا- شا- شا)، حتى امتداد الأرض، وقلوبهم واثقة قائلين إنّ خططنا ستنجح...".[61]

وفي فقرة أخرى تتحدث عن هزيمة العدو يقول رعمسيس الثالث:

"أولئك الذين وصلوا حدودي، بذورهم كأنّها لم تكن، قلوبهم وأرواحهم انتهت إلى أبد الآبدين، أمَّا بالنسبة إلى أولئك الذين تجمعوا أمامهم في البحر، فقد كانت النار المستعرة في انتظارهم أمام مدخل الميناء، لقد جُروا وكُبّوا على وجوههم، وطُرحوا أرضًا على الشاطئ، وقُتلوا وجُعلوا أكوامًا من مقدم إلى مؤخر سفنهم، في حين كل أشيائهم متناثرة على الماء، لم أسمح للبلاد الأجنبية بأنْ يروا حدود مصر".[62]

---

[57]- الحويلي، سليمان حامد: ص: 194.

[58]- الحويلي، سليمان حامد: ص: 194.

[59]- عبد الحميد أحمد، محمود: ص: 271؛ ما يذكره عن هذه النقطة هو الآتي: "لكن جاردنر يعتقد أن هذه المناظر نسخت عن أصول ترجع إلى عهد رعمسيس الثاني، وجاء في نص آخر ببردية مصرية: أنّ الملك حارب "الشاسو" (البدو) في منطقة آدوم".

[60]- عبد الحميد أحمد، محمود: ص: 270؛ الحويلي، سليمان حامد: ص: 195.

[61]- عبد الحميد أحمد، محمود: ص: 270؛ الحويلي، سليمان حامد: ص: 195.

[62]- الحويلي، سليمان حامد: ص: 195.

وبهذا الخبر من الفرعون المصري رعمسيس الثالث انتهى المشهد المرعب وسُدل الستار،[63] وأصبحت الأناضول وبلاد الشام بعد الانهيارات التي حدثت في فراغ سياسي كامل، ومصر نفسها لم تؤدِ أيّ دورٍ في ملئ ذلك الفراغ، ولم تحاول دخول بلاد الشام ثانية بعد انتصارها على تلك القبائل، واستعادة نفوذها الذي كان مرة أخرى، وإذا أردنا ذكر الأسباب وتوضيحها، فالأمر يحتاج إلى بحث جديد؛ وبخصوص هذه النقطة ما يذكره أستاذنا الدكتور محمد حرب فرزات في بحثه: عوامل سياسية واقتصادية في تطور سورية في العصر الآرامي القديم (حتى أواخر القرن الثامن ق.م): "وهكذا فإنّ الفراغ الذي تشكّل فيما بين الفرات والبحر المتوسط، جذب القوى المتحركة الحديثة في وادي الرافدين وبلاد الشام، وفي طليعتها الآراميون والآشوريون".

– **التكوين العرقي والمواطن الأصلية لقبائل شعوب البحر:**

لابدَّ في نهاية هذا البحث من التعريف بهذه الشعوب والقبائل المذكورة في المصادر المصرية وغيرها، وهي الآتية:

1– **الأقواشا:** يقول بعضهم إنَّهم الآخيون، وذلك كما ذكرتهم المصادر الحثية أخياوا، وبعضهم الآخر يربطهم بالإسكانيون كشعب إيطالي قديم.[64]

2– **التورشا:** بعضهم يربط بينهم وبين الأتروسيك –شعب إيطالي–، وبعضهم الآخر يشير إلى أنّ المصادر الحثية ذكرتهم باسم تاروشا الذين استوطنوا بالقرب من ليديا المنطقة الغربية من وسط آسية الصغرى.[65]

3– **اللوكا:** ذكرتهم المصادر الحثية على أنّهم استوطنوا أراضي لوكا في مكان ما من آسية الصغرى، والنصوص الأوجاريتية وصفتهم بقراصنة البحر.[66]

4– **الشردانا:** كما جاء في قصة ون – آمون التي سجلت أنّ الشردانا كانوا شعبًا من الشعوب في الساحل الشمالي لبلاد الشام، ولكن يفترض بعضهم أنّ موطنهم الأصلي كان في منطقة القوقاز أو البلقان.[67]

---

[63]– عبد الحميد أحمد، محمود: ص: 269؛ مايذكره في هامش الصفحة هو الآتي: "سمح رعمسيس الثالث لقبيلة "زكار" وقبيلة "بلست" بالاستقرار على ساحل فلسطين الجنوبي، وقد تسمت المنطقة باسم قبيلة "البلست" ثم أطلق على فلسطين كلها، ومن المحتمل أنهم جاؤوا من كريت "كفتور"، ولكن ربما كانت كريت محطة فقط من محطات هجراتهم".

[64]– الحولي، سليمان حامد: ص: 202.

[65]– المرجع نفسه: ص: 202.

[66]– المرجع نفسه: ص: 203.

[67]– المرجع نفسه: ص: 206.

5- **الشكلش:** يرى بعضهم أنّ موطنهم الأصلي كان إقليم ليديا في آسية الصغرى، ويرى آخرون أنّ موطنهم الأصلي هو صقلية واسمها منهم.[68]

6- **البلست:** يرى بعضهم أنّ موطنهم الأصلي هو جزيرة كريت، وبعضهم الآخر يرى منطقة آسية الصغرى، وآخرون يرون منطقة البلقان، أو من وسط البحر.[69]

7- **الثكر:** يرى بعضهم أنّهم من جزر بحر إيجة، وبعضهم يرى أنّ عناصرَ منهم استقرت في الساحل الفينيقي، وعملهم كان القرصنة في البحر.[70]

8- **الدانونا:** طبقًا لخطابات العمارنة، يُعتقَد أنْ تكون أرض الدانونا لها علاقة بسهل أدنا في قيليقيا بآسية الصغرى.[71]

9- **الوشش:** بعضهم يربط وجودهم بواسكوس في جزيرة كريت، أو ويلوسا بجنوب كاريا غرب آسية الصغرى، وبعضهم الآخر يرى أنّ موطنهم الأصلي مازال غامضًا غير معروف.[72]

وأخيرًا هكذا كان المصير المشترك، ولو أنّ مصر لم تنتصر في تلك الحرب، أو لم تستطع الدفاع عن نفسها، لكان مصيرها كالآخرين في الأناضول وبلاد الشام، وأظلمت المنطقة كلّها بما فيها مصر نفسها، ويمكننا القول: إنَّ هذا الانتشار الواسع لقبائل شعوب البحر في المنطقة كلّها سواءً كان ذلك سلمًا أم حربًا، هو المحاولات المبكرة للتوسع الأوروبي في المنطقة، والهدف أولًا وأخيرًا ليس البحث عن مناطق جديدة للإقامة والسكن، وإنّما كان اقتصاديًا بالدرجة الأولى، وهذا ما استمرت به أوروبا في المراحل اللاحقة دومًا، من أجل الوصول إلى مناطق ما بعد بلاد الشام وبلاد الرافدين في الشرق وكان ذلك سببًا مباشرًا لكثير من الحروب، ومازالت.

- الخاتمة:

كان ذلك الحدث الكبير على مستوى المنطقة كلّها، الذي أدى إلى غياب الإمبراطورية الحثية، وكذلك إلى غياب أكثر من مملكة على أرض بلاد الشام، وأيضًا تقلص النفوذ المصري الخارجي والتقوقع داخل مصر.

---

[68]- المرجع نفسه: ص: 208.
[69]- المرجع نفسه: ص: 208.
[70]- المرجع نفسه: ص: 211.
[71]- المرجع نفسه: ص: 212.
[72]- المرجع نفسه: ص: 212.

وكما رأينا أنّ المنطقة كلّها بقيت مستمرة، مادام التنافس أو الخلاف كان محصورًا بين شعوب المنطقة نفسها، حتى لو أدى ذلك أحيانًا إلى نشوب معارك بين أكثر من طرف، ولكن بالمقارنة بما فعله الغزو الخارجي في المنطقة، فقد أدى إلى دمار كامل ليس فقط لممالك صغيرة، بل أيضًا لقوى كبرى، والتراجع السياسي والعسكري لقوى أخرى، وهذا يؤكد وحدة المصير، ولم يستثن الغزو طرفًا دون الآخر.

ومن أهم النقاط التي أكَّدَها البحث، أنّ الوجود الحثي والوجود المصري فضلًا عن القوى الأخرى في المنطقة، كان ذلك يشكل بوابة مغلقة في وجه أية محاولات للتوسع الأوروبي، وتضييقًا عليه في تحركاته كلّها باتجاه الشرق، وهذا ما رأيناه من خلال التعاون بين تلك القوى مع بعضها بعضًا عند التعرض لأي خطر خارجي، وشعورها بوحدة مصيرها، ومن ثمَّ لم يكن الأمر مجرد هبة عاصفة مفاجئة من جهة مجهولة كما يُصور ذلك، وإنما هو عبارة عن محاولات مستمرة عبر زمن طويل، حتى استطاعوا فتح ثغرات في المنطقة وإضعافها والقيام بهدم تلك البوابة هدمًا بربريًا مرةً واحدةً آنذاك.

ولحسن الحظ لم يكن أولئك الغزاة مهيئين لإنشاء كيان سياسي، أو بالأحرى كيانات سياسية في المنطقة، ولاشك أنّ الأسباب كثيرة ومنها أنّ اليونان في تلك المرحلة كانت ما تزال تتعلم الكتابة، فكان هؤلاء أميين، ولهذا اندثرت تلك القبائل البربرية في المنطقة وكان الذوبان من نصيبها بين السكان المحليين، ولم تترك وراءها شيئًا يُذكر لها، سوى الدمار في المنطقة وما يُسمّى بالفراغ السياسي.

وفي النهاية بقيت المنطقة على قيد الحياة على الرغم من الدمار الهائل الذي حلّ بها، واستمر التطور في الجوانب الحياتية كلّها، وتصدّر الآراميون والآشوريون المشهد السياسي في المنطقة من جديد.

المصادر والمراجع العربية:

1. إسماعيل، فاروق: أخبار أوغاريت في مراسلات العمارنة، مجلة دراسات تاريخية، العددان 101- 102، جامعة دمشق، 2008.

2. إسماعيل، فاروق: مراسلات العمارنة الدولية- وثائق مسمارية من القرن 14 ق.م: أنانل للطباعة والنشر، دمشق، 2010.

3. بكر، محمد إبراهيم: قراءات في حضارة الإغريق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2002.

4. الحويلي، سليمان حامد: شعوب البحر في المصادر النصية والأثرية ومظاهر الخلط في تمثيلهم في النقوش المصرية، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، مجلد (16)، القاهرة، 2015.

5. ساره، خليل: تاريخ الإغريق، منشورات جامعة دمشق، 2007/2006.

6. الشيخ، حسين: دراسات في تاريخ الحضارات القديمة- اليونان، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1992.

7. عبد الحميد أحمد، محمود: تاريخ وحضارة مصر الفرعونية، جـ(1-2)، منشورات جامعة دمشق، 2011- 2012.

8. فرزات، محمد حرب: عوامل سياسية واقتصادية في تطور سورية في العصر الآرامي القديم (حتى أواخر القرن الثامن ق.م)، مجلة دراسات تاريخية، العددان 19-20، جامعة دمشق، 1985.

9. الناصري، سيد أحمد علي: الإغريق تاريخهم وحضارتهم من حضارة كريت حتى قيام إمبراطورية الإسكندر الأكبر، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة، 1976.

- المراجع الأجنبية المعرّبة:

1. برستيد، ج. هـ: انتصار الحضارة "تاريخ الشرق القديم"، ترجمة: أحمد فخري، تقديم هذه الطبعة: ممدوح محمد الدماطي، القاهرة، 2011.

- المصادر والمراجع الأجنبية:

1. Aboud, J., Die Rolle des Konigs und seiner Familie nach den Texten von Ugarit, FARG 27, Ugarit- Verlag- Munster, 1994.

2. Beckerath, J. von, Abriss der Geschichte des Alten Agypten, Munchen- Wien, 1971.

3. Berger, P. R., Die Alasia- Briefe Ugaritica 5, Noug. Nrn. 22- 24, UF 1, 1969.

4. Dietrich, M.- Loretz, O., Der Vertrag zwischen Suppiluliuma und Niqmadu, Eine philologische und kulturhistorische Studie, WO 3, 1966.

5. Dietrich, M.- Loretz, O., Historisch- Chronoloische Texte aus Alalah, Ugarit – Kamid el- loz/ Kumidi und den Amarna Briefen, TUAT 1/5, 1982/85.

6. Eissfeldt, O., Kleine Schriften II, Tubingen, 1963.

7. Helck, W., Die Beziehungen Agyptens und Vorderasien zur Aegais bis ins 7. Jahrhundert v. Chr., Darmstadt, 1979.

8. Helck, W., Die Beziehungen Agyptens zu Vorderasien in 3. Und 2. Jahrtausend v.Chr., Wiesbaden, 1971.

9. Klengel, H., Syria 3000 to 300 B.C. A handbook of Political History, Berlin, 1992.

10. Lehmann, G. A., Die Politisch- historischen Beziehungen der Agaes- Welt des 15- 13 Jh. V. Chr. Zu Agypten und Vorderasien einige Hinweise, ZJHF 2, 1991.

11. Lehmann, G. A., Die Sikilaju- Ein neues Zeugnis zu den " Seevolker" – Heerfahrten in Spaten 13. Jh. V. Chr. (RS 34. 129), UF 11, 1979.

12. Moran, W. L., Les Letters d,El- Amarna, Paris, 1987.

13. Otten, H., Neue Quellen zum Ausklang des Hethitischen Reiches, MDOG 94, 1963.

14. Schaeffer. C. F. A., Ugarit und die Hethiter nach den in Sud- Archiv des Palastes 1953 entdeckten Keilschriften, AFO 17, 1954/ 56.

15. Schuler, E. von, Vertrag zwischen Suppiluliuma I und Niqmadu II von Ugarit, TUAT 1/3, 1982/85.

16. Soldt, W. H. von, Studies in the Akkadian of Ugarit. Dating and Grammar, AOAT 40, 1991.

17. Soldt, W. H.von, Fabrics and Dyes at Ugarit, UF 22, 1990.

- المختصرات:

1. AFO: Archiv fur Orientforschung, Horn.
2. AOAT: Alter Orient und Altes Testament,Kevelaer/ Neukirchen-Vluyn.
3. FARG: Forschungen zur Anthropologie und Religionsgeschichte, Munster.
4. GS: H. Klengel, Geschichte Syriens im 2. Jahrtausend v. u. Z. I/II, Berlin, 1969.
5. MDOG: Mitteilungen der Deutschen Orient- Geselschaft, Berlin.
6. PRU: Le Palais Royal d,Ugarit, Paris.
7. RS: RAS- Samra. Ausgrabungensnummer.
8. TUAT: Texte aus der Umwelt des Altes Testaments, Gutersloh.
9. UF: Ugarit- Forschungen, Krevelaer/ Neukirchen- Vluyn.
10. Ug: Ugaritica, Paris.
11. WO: Die Welt des Orients, Gottingen.
12. ZJHF: Zweihundert Jahre Homer- Forschung, Stuttgart- Leipzig.